



التربية على دفع البلاء بالتوبة واجتناب الذنوب

من هدي رسول
الله ﷺ في التربية

ذ. عبد الله الهلالي¹

التربية على دفع البلاء بالتوبة واجتناب الذنوب

أخرج الحاكم² عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، فَجَاءَ فِتًى مِنَ الْأَنْصَارِ يَسْأَلُ النَّبِيَّ، فَلَمَّا أَجَابَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنْ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤَنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْهَيْئَةُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سُلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ وَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَلْقَى اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ"

1-تقديم الحديث:

الحديث أخرجه الإمام الحاكم² في المستدرک³، في كتاب الفتن والملاحم. وصححه ووافقه الذهبي. كما أخرجه ابن ماجه في السنن عن عبد الله بن عمر. وقد ضعف علماء الجرح والتعديل ابن أبي مالك. وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط. كما أورده صاحب الترغيب والترهيب. وورد أيضا في الصحيح الجامع للألباني.

¹ عبد الله الهلالي، مفتش في التوجيه التربوي، عضو باحث في مركز الدراسات والأبحاث وتحليل السياسات، قسم التربية والتعليم

² أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)

³ أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 – 1990،

وورد الحديث بصيغ متقاربة واختلاف يسير في الألفاظ. وجاء الحديث أيضا في شعب الإيمان⁴ للإمام عبد السلام ياسين

وأورده الإمام البيهقي في شعب الإيمان⁵ بهذه الصيغة: عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، يُحَدِّثُ بِمِثِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِنْ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَنَ بِكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوَجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشَدَّةِ الْمُتُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْيَهَائِمُ لَمْ يُمَطَّرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَأْخُذُ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمُ أَيْمَتُهُمْ بَيْنَهُمْ يَكْتَابِ اللَّهُ إِلَا جَعَلَ بِأَسْهَمِهِمْ بَيْنَهُمْ.

أورد المحدثون هذا الحديث في الدلالة على أن:

- الفتن والابتلاءات التي تصيب الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام عديدة ومتنوعة.
- خطورة المعاصي التي تشيع في المجتمع ويكون لها الأثر السيئ في المجتمع مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ سورة الأنفال، الآية 25
- الابتلاءات التي تقع للأمة؛ إنما هي أجراس منبهة للعودة للمعين الصافي: الكتاب والسنة. وترك الذنوب والمعاصي والقيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- يعتبر الحديث أيضا نصا في أن المعاصي والمخالفات الجماعية سبب في كثير من الابتلاءات والعقوبات.
- كما يبين الحديث حال الأمم والعباد عندما تشيع بينهم مختلف المعاصي والمخالفات، فتسلط عليهم الفتن والابتلاءات والأوجاع.

⁴ عبد السلام ياسين، شعب الإيمان، تخريج الأحاديث: عبد اللطيف آيت عمي، شرح غريبه، عبد العلي المسنول، الطبعة الأولى، 2017، ج 2، رقم 1549، في توفية الكيل والميزان، ص 135

⁵ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2003 م

-يعتبر الحديث الذي بين أيدينا نموذجا واضحا في صدق نبوءة الرسول ﷺ وما ستؤول إليه أحوال الأمة بعده، وكذلك أنواع الابتلاءات التي تصيب الأمة كلما ابتعدت عن الكتاب والسنة والشرعية الغراء.

2-آيات قرآنية في موضوع الحديث

1.2 قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سورة آل عمران، الآية 165

في هذه الآية يصارح الله الصحابة أنّ ما نالهم يوم أحدٍ، إنّما نالهم من جهتهم، بتركهم الموضع الذي أشار عليهم النبي ﷺ بملازمته وعدم مغادرته، حرصًا على الغنيمة، يقول الله لهم: هذا الذي أصابكم لا من عند غيركم، بل من عند أنفسكم. كان السبب يوم أحد ولكن العبرة والمغزى عامة تتجدد وتتكرر.

2.2- قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. سورة الشورى، الآية 30.

والآية تأكيد على أن ما أصاب الناس قد يكون بسبب الذنوب والمعاصي وما اقترفت أيديهم

3.2- قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ سورة الروم، الآية 41

وفي هذا إشارة واضحة إلى أن المصائب والكوارث التي قد تسلط على الناس، إنما هي بسبب ما كسبت أيديهم، والغاية منها أن يرجعوا إلى الله ويتوبوا إليه.

4.2- قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة الأعراف، الآية 96

الآية هذه صريحة على أن التقوى والعمل الصالح موجب للخير والبركات في الأبدان والأعمار والأرزاق. وبمفهوم المخالفة، فإن المعاصي والتجاسر على الدين والمجاهرة بالذنوب، يترتب عليه العقوبة ومحق البركة وقلة القطر من السماء.

5.2- قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ سورة النساء، الآية

6.2- قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، سورة النحل، الآية 112

فكم أزال الذنوب والمعاصي حين تنتشر في الأمة من الأموال والأرزاق والأمن والعافية. والذرية والجاه والسلطان.

7.2- قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور، الآية 63

8.2- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ الإسراء، الآية 32.

3 أحاديث نبوية في الموضوع

1.3- عَنْ أُمِّ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «اهْجُرِي الْمَعَاصِيَ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهَجْرَةِ، وَحَافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ، وَكَثِّرِي مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَأْتِينَ اللَّهَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ»⁶.

2.3- «المسلم من سلم النَّاسُ من لسانه ويده والمؤمن من أَمِنَهُ النَّاسُ على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى»⁷

3.3- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: «إن العبد إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» إذن: إن المعصية تعمي القلب وتميته

4.3- روى أبو نعيم عن جبير بن نفير قال: لما فُتحت قبرص فُرِّقَ بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: «ويحك يا جبير! ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر

⁶ أخرجه الطبراني بإسناد جيد

⁷ ابن حجر العسقلاني والإمام البزار

الله فصاروا إلى ما ترى»⁸

* أن المعاصي تضعف تعظيم الله في القلوب: قال بشر الحافي (لو تفكر الناس في عظمة الله، ما عصوا الله عز وجل). وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك أنه قال: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، وإن كنا لننعتها على عهد رسول الله من الموبقات). وقال بلال بن سعد: (لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت). وقال وهيب بن الورد: (اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك).

4- راوي الحديث

عبد الله بن عمر محدث وفقه وصحابي من صغار الصحابة، وابن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأحد المكثرين في رواية الحديث والفتوى، كما كان قبلة لطلّاب الحديث والفتاوى في المدينة المنورة، وطلّاب العطايا لما عُرف عنه من سخائه وكرمه. جاء في الإصابة⁹ أنه: «عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ولد سنة ثلاث من البعثة، وهاجر وهو ابن عشر سنين. أمه زينب بنت مطلق الجُمَحِيَّة. توفي رضي الله عنه سنة أربع وثمانين بمكة ودفن بها»

وهو أحد العبادلة، وأحد المكثرين من حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والرواية عنه، روى عن أبيه، وأبي بكر، وعثمان، وسعد، وابن مسعود، وأخته حفصة أم المؤمنين، وعائشة، وغير ذلك، وروى عنه بنوه ومولاه نافع، وزيد بن سالم، وأسلم مولى أبيه عمر، والحسن، ومحمد، وأنس ابني سيرين، والزهرى، وعطاء. وكان له من الأبناء الذين عرفوا بالعلم والرواية: سالم، وحمزة، وعبد الله، وبلال، وزيد، وعبيد الله، وعمر. من مناقبه أنه شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح. جاء في مصابيح السنة¹⁰ «عن عبد الله بن عمر قال: رأيت في المنام كأن في يدي سرفرة من الحرير لا أهوي إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة فقصصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: إن أخاك رجل صالح، أو إن عبد الله رجل صالح»

ولصغر سنه كان أول غزوة حضرها هي غزوة الخندق. جاء في صحيح البخاري¹¹: «عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ عرضه وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس

⁸ حلية الأولياء - أبو نعيم الأصبهاني - ج 1 - ص: 216

⁹ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1995، الجزء الرابع، ص 155

¹⁰ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، مصابيح السنة، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1987، الجزء الرابع، ص 204. سرفرة: قطعة. لا أهوي: لا أقصد

¹¹ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الخامس، ص 137

عشرة فأجازه». وكان من أكثر الصحابة اتباعا واقتداء برسول الله ﷺ حتى في غير مواطن الاقتداء الواجب. جاء في الإصابة¹² «وقال الزبير بن بكار وكان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله. وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براجلته في طريق رأى رسول الله عرض ناقته. وكان لا يترك الحج وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله». بل أورد ابن سعد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لو تركنا هذا الباب للنساء (المسجد) قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات¹³. وكان له موقف متميز من الفتنة الكبرى. حيث اعتزل الفتنة ولزم الحياد و«كان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى له زكاة ماله»¹⁴

5- شرح المفردات

* معشر: جاء في المعجم الوسيط¹⁵: «كل جماعة أمرهم واحد. وفي القرآن: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ سورة الأنعام، الآية 130، والمعشر: أهل الرجل. ويقال: جاء القوم معشر: عشرة عشرة» * نزل فيكم، وفي رواية أخرى للحديث: نزلن فيكم: جاء في معجم ابن فارس¹⁶: «النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. والنازلة: الشديدة من شدائد الدهر» وهذا تتضمن معنى الوقوع والظهور والتفشي والانتشار.

* وأعوذ بالله أن تدركوهن: لعل هذا من باب الدعاء للصحابة أن تقع تلك المعاصي والابتلاءات في زمنهم. ولا شك أن الصيغة تحمل زجرا قويا عن هذه المعاصي التي سيبيها الحديث.

* المكيال والميزان:

-المكيال: جاء في القاموس المحيط¹⁷: «كال الطعام يكيله كيلا ومكيلا ومكالا واكتاله بمعنى واحد. والاسم الكيلة. والكيل والمكيل والمكيال والمكيلة ما كيل به»

¹² الإصابة الجزء الرابع، ص 160

¹³ سعيد حوى، الأساس في السنة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1995، الجزء الرابع، ص 1823

¹⁴ سعيد حوى، الأساس في السنة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1995، الجزء الرابع، ص 1821

¹⁵ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص 608

¹⁶ أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1991، المجلد الخامس، ص 417

¹⁷ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1991، الجزء الرابع، ص 64

والمكيال من وحدات القياس التي تدل غالبا على الحجم؛ وتشمل: الصاع والمد والتمر والوسق والقفيز والجريب¹⁸ إلخ.....

-الميزان: جاء في المعجم الوسيط¹⁹: «وزن: رجح. وزن الشيء قدره بواسطة الميزان. وزنه: رفعه بيده ليعرف ثقله وخفته. الميزان: الآلة التي توزن بها الأشياء. الميزان الصنجة من الحجارة أو الحديد أو غيرها». والوزن من وحدات القياس التي يعرف بها ثقل الأشياء كالكرام والكيلو والطن والمثقال والدرهم والدينار²⁰ إلخ...

* الفاحشة²¹: القبيح الشنيع من قول أو فعل. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ سورة الأعراف، الآية 33. وذهب الأصفهاني²² إلى أنها تطلق أكثر على الزنا، مستدلا بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ سورة النساء، الآية 15

* السنون: قيل «أصل السنة هاء فيقال سنهه. وقيل أصلها واو لقولهم سنوات. قال الله تعالى: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين عبارة عن الجذب، وأكثر ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الجذب»²³. وجاء في قاموس القرآن²⁴: «س ن ه جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: الأول السنين يعني الجذب؛ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ﴾... والثاني الأيام والدهور؛ ﴿لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ والثالث السنة بعينها؛ ﴿وَلْيُبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾

* المؤنة وفي رواية المثونة: جاء في المعجم الوسيط²⁵: المؤنة والمؤونة القوت. وجاءت في القاموس²⁶ بمعنيين: 1- أَخَذَ مَعَهُ مَوْؤَنَتَهُ: ذَخِيرَتُهُ، عُدَّتُهُ، قُوَّتُهُ. وَقَرُّوا كُلَّ الْمُونِ لِحَوْضِ الْمُعْرَكَةِ. 2- كَفَى غَيْرُهُ مَوْؤَنَتَهُ: أَيَّ قَامَ مَقَامَهُ أَوْ قَضَى حَاجَتَهُ.

يستفاد أن المؤونة هي القوت والذخيرة والعدة

¹⁸ وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، 1989، الجزء الأول، ص 75

¹⁹ المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ص 1041

²⁰ الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء الأول، ص 76

²¹ الجزء الثاني، ص 682 المعجم الوسيط،

²²، ص 374 المفردات في غريب القرآن

²³ المفردات في غريب القرآن، ص 245

²⁴ الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1983، ص 249

²⁵ المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ص 858

²⁶ بتاريخ 6 أبريل 2020 <https://www.alburaq.net/meaning>

*بأسهم بينهم: جاء عند الأصفهاني²⁷: «البؤس والبأس والبأساء الشدة والمكروه. إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر. والبأس والبأساء في الكناية والمجاز. ﴿والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً﴾ ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء﴾ وقوله تعالى: ﴿بأسهم بينهم شديد﴾

وجاء في المعجم الوسيط²⁸: «البأس الحرب والشدة فيها. والبأس العذاب الشديد. والبأس الخوف يقال لا بأس به ولا بأس عليه»

يستفاد مما سبق أن بأسهم بينهم تحمل الشدة والعنف والتنكيل ببعضهم البعض. وبدل أن تصرف هذه الشدة تجاه عدوهم يتبادلونها بينهم.

6- من معاني الحديث

في هذا الحديث الشريف يخاطب الرسول ﷺ الصحابة وبالتحديد المهاجرين، وإن كان المقصود الأمة بالطبع. فالقاعدة الأصولية²⁹: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. يخاطبهم محذرا من خمس خصال يستعيز الرسول ﷺ بالله تعالى أن تقع وتحدث في حياة الصحابة بعده. ومن رحمة الرسول ﷺ وجوامع الكلام الذي أوتي، ومن بلاغته ﷺ أن وقوع هذه المعاصي والمخالفات لم ينسبها للصحابة، بل عبر عنها ب: أن تدركوهن، أي تقع في زمانكم. كما أنه قدم لذكر هذه المعاصي وما سيترتب عنها من ابتلاءات ومحن بهذا التقديم التحذير. وهذه المعاصي قابلة أن يقتربها الناس في كل زمان ومكان. وإن المتمعن المنصف في عصرنا ليشعر وبحق كأن النبي يوجه كلامه وتحذيره لنا. وإن هذه الابتلاءات التي أصابت الأمة والبشرية في هذه السنة (وباء كورونا) ما هي إلا نتيجة طبيعية للاختلالات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية التي تعرفها البشرية عموما. وقد صيغت هذه المخالفات وما يترتب عنها من ابتلاءات على شكل قواعد، أو أسباب ونتائجها.

²⁷ المفردات في غريب القرآن، ص 66

²⁸ المعجم الوسيط الجزء الأول، ص 36

²⁹ الرازي، المحصول، الجزء الثالث، ص 125

بدأ الحديث كل مخالفة ب: لم وهي أداة "وحرف جزم ونفي وقلب"³⁰ ولم تفيد نفي المضارع في الماضي؛ جاء عند الأصمهباني³¹: "ولم نفي للماضي وإن كان يدخل على الفعل المستقبل ويدخل عليه ألف الاستفهام للتقرير نحو ألم تربك فينا وليدا". وجاء في الكليات³²: "لم مأخوذ من لا وما، لأن لم لنفي الاستقبال لفظا والمضي معنى فأخذ اللام لنفي المستقبل والميم مما التي هي لنفي الماضي وجمع بينهما إشارة إلى أن في لم إشارة إلى المستقبل والماضي والنفي بلم لنفي الممكن نحو: لم يقم زيد".

ويفهم من ظاهر الكلام أن هذه المعاصي والمخالفات، لم تسبق لها أن ظهرت وانتشرت بين الناس في زمن الرسول ﷺ حتى يعرف الناس بها، ولكن متى وقعت أو كلما وقعت إلا وكانت النتيجة كما جاء في الحديث. وهذا تحذير مبطن من بلاغة وفصاحة الرسول ﷺ

* أول مخالفة حذر الرسول ﷺ من وقوعها هي: شيوخ الفاحشة في المجتمع، سواء كانت الفاحشة هي الزنا أو كل ما يستقبح من القول والفعل. خطورة هذه المخالفة تكمن في نتائجها التي هي الطواعين والأوجاع والأسقام التي لم تكن معروفة عند الأسلاف؛ وهذا ما تعاني منه المجتمعات عامة والإسلامية خاصة. وما أكثر ما نشاهده اليوم في العالم من أمراض فتاكة بالبشر لم يجد العلم لها علاجا كالسرطانات والإيدز والسكري والجلطات المختلفة والزهايمر والعديد من أنواع الفلوانزا وعلى رأسها كورونا أو كوفيد 19 التي حصدت مئات الآلاف من الأرواح. وقَشُو الموت هو عقوبة شيوخ الفاحشة في حديث للطبراني³³: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ: مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ. وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا فُشِيَ فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلَا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلَّا فُشِيَ فِيهِمُ الْمَوْتُ. وَلَا طَفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلَّا مَبِغُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلَا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلَّا حُبِسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ».

نعم هذه الأمراض قد تكون ابتلاء وقد تكون فتنة وقد تكون تمحيصا كما قد تكون عقوبة ليعرف الإنسان ضعفه وعجزه وليعود الناس مفتقرين إلى الله متضرعين تائبين. فالبلاء الذي يكون تمحيصا وزيادة في الأجر والثواب ورفع المقام عند الله تعالى كابتلاء النبي أيوب عليه السلام، الذي قال عنه الله تعالى: "إنا وجدناه صابرا بعم العبد إنه أواب" سورة ص. وكقول الرسول: (إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها

³⁰ محمد بن أحمد الأهدل، الكواكب الدرية على مئمة الأجرومية، مؤسسة الكتاب الثقافية، لبنان، 2015، ص 413

³¹ مفردات غريب القرآن، ص 454

³² أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1992، ص 791

³³ أخرجه الطبراني في الكبير، عن ابن عباس، تحت رقم 10830

بعمل، فلا يزال الله تعالى يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها³⁴ وقد يكون للتنبيه والتحذير ليرجع الناس إلى الله تعالى دعاء وافتقار وتذللًا وتضرعًا.. وقد يكون للعقوبة والإهانة نسأل الله العفو والعافية.

*المخالفة الثانية التي حذر الرسول ﷺ من وقوعها هي: نقص المكيال والميزان. وهي من أخطر المخالفات على الاقتصاد والمعاملات المالية والتجارة والصناعة وتداول المنافع في المجتمع. خطورتها تكمن في فتح باب الغش والتدليس والكيل بمكيالين. كل هذا يذهب الثقة بين المتعاملين ويرسخ الكساد ولا يشجع على الاستثمار والرواج الاقتصادي. وقد حذر الرسول من هذا التعامل فقال (من غشنا فليس منا)³⁵. وورد عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَذْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيِّ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي³⁶. وقضى الله تعالى بالويل وهو واد في جهنم، لمن يطفف في الكيل والموازين فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ المطففون. ونهى الله تعالى نهيا صريحا عن هذا الفعل الشنيع فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ سورة الرحمن. وقد أهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبغسون الناس في الميزان والمكيال: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف وقد عد سبحانه وتعالى في هذه الآية تطفيف الكيل والميزان فسادا في الأرض. وليس التطفيف المنهي عنه قاصرا على المكايل والموازين بل يشمل كل الحقوق، الصغيرة والكبيرة منها.

وجاءت العقوبة من الله على هذه المخالفة مناسبة لعظم الجرم، إنها السنون وشدة المئونة وجور السلطان. ثلاث عقوبات!! القحط والجذب وقلة الموارد وارتفاع الأثمان وتسلب الحكام وظلمهم. سبحانه الله كل هذا واقع في أغلب ديار المسلمين وكثير من بقاع العالم اليوم. ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم

³⁴ أخرجه ابن حبان في صحيحه (693)، والحاكم (1/ 344) في مستدركه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
³⁵ أخرجه مسلم والترمذي والبيهقي عن أبي هريرة

³⁶ أخرجه الإمام مسلم

يظلمون﴾. واللافت للنظر هو أن هذه العقوبات تشمل جميع الناس جميع من حضر حتى ولو لم يقترب الجرم مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ سورة الأنفال.

*ثالث المخالفات التي حذر منها الرسول ﷺ هي: منع الزكاة. والمنع" يقال في ضد العطية، يقال رجل مانع ومَنّاع، أي بخيل. قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وقال: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾³⁷. ومنع الزكاة الذي لا يؤديها ويفرض دفعها. ومنع الزكاة اليوم أصبح شائعا مألوفاً إذ غابت مؤسسات بيت المال، وانعدمت السلطات التي تسهر على تنظيم أمور الزكاة بدعوى أن ذلك من الأمور الشخصية التي لا يعاقب عليها القانون. وضعف الباعث الديني والحافز الداخلي عند الناس. ومما زاد الطين بلة سكوت أغلب العلماء عن هذا الأمر، وتضييق السلطات على الجمعيات والجماعات التي تنبهي لهذا الأمر. ويصل الأمر إلى عقوبة السجن بذريعة التماس الإحسان العمومي. والمخالفة السابقة تأتي العقوبة عامة؛ منع القطر من السماء. "وَالْقَطْرُ مَا قَطَرَ. وَالْقَطْرُ مَا سَالَ قَطْرَةً قَطْرَةً. وَالْقَطْرُ الْمَطَرُ. وَالْقَطْرُ النَحَاسُ أَوْ الْحَدِيدُ الذَّائِبُ. وَالْقَطْرُ النَّاحِيَةُ وَالْجَانِبُ"³⁸. والمقصود أن منع الزكاة وتضييعها موجب لانحباس الغيث والمطر على الناس. وقد يمنع البعض الزكاة ويمطر الناس. يحصل هذا، ويمطر الناس ولكن، رافة بالهائم السائمة التي تتغذى على ما تنبت الأرض. وهذا هو منطوق الحديث: ولولا الهائم لم يمطروا. وتعيش بلاد المسلمين اليوم، فقرا مدقعا وانحباس مطر لم يسبق له مثيل مما يدل على أن ما أخبر به الرسول نعيشه بحذافيره. إن فريضة الزكاة التي قرنت غير ما مرة في كتاب الله تعالى بفريضة الصلاة، لو نظمت ووظفت واستثمرت بالشكل المطلوب لكفت المسلمين ذل الفقر والجوع ومهانة التسول للغرب والشرق واستجداء الطعام والغذاء من المنظمات العالمية التي تفرض شروطا مذلة مجحفة. ولكن لا حياة لمن تنادي للمسؤولين الذين همهم الحفاظ على عروشهم ومكاسبهم الخاصة وبيع الأوطان تقسيطا وإجمالا. وصدق الله العظيم الذي يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ سورة إبراهيم - 42.

وقال رسول الله ﷺ³⁹: "إن الله تبارك وتعالى يملي -وربما قال يمهل- للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ سورة هود 102

³⁷ مفردات غريب القرآن، ص 475

³⁸ المعجم الوسيط، الجزء 2، ص: 750

³⁹ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب

*المخالفة الرابعة: نقض العهد مع الله ورسوله. "النقض انتشار العقد من البناء. والحبس والعقد، وهو ضد الإبرام، ومن نقض الحبس والعقد استُعير نقض العهد. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾⁴⁰. وفي المعجم الوسيط "نقض الشيء أفسده بعد إحكامه. ونقض البناء هدمه. ونقض الحبس أو الغزل حل طاقاته وفي التنزيل ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾. ونقض اليمين أو العهد نكثه. ونقض ما أبرمه فلان أبطله"⁴¹ أما العهد فله عدة معان مختلفة. جاء في قاموس القرآن "ع ه د في القرآن الكريم جاءت على ستة أوجه هي:

- العهد الأمانة كقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يعني الأمانة
 - العهد الميثاق كقول الله تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ يعني موثقا وك ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ يعني ميثاقه
 - العهد الأمر، قول الله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي أمرنا آدم
 - العهد اليمين أو الحلف. قول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ يعني بالحلف إذا حلفتكم. ومثلها في سورة التوبة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ أي حلف بالله
 - العهد التوحيد والعمل الصالح. نحو قول الله تعالى في سورة مريم: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾
 - العهد الوفاء بالأمانة نحو قوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِكَثِيرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء أمانة"⁴²
- وزاد أصحاب المعجم الوسيط عن هذه المعاني ب:
- "العهد العلم: هو قريب العهد بكذا أي قريب العلم به.
 - العهد الوصية: قال الله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ أي وصاياهم وتكاليفهم.
 - العهد الزمان: كان ذلك على عهد فلان أي وقته وزمانه"⁴³. ويناسب منطوق الحديث: العهد الميثاق والوصية والتكاليف واليمين.

⁴⁰ مفردات غريب القرآن، ص 504

⁴¹ المعجم الوسيط، ص 955

⁴² الحسين بن محمد الدامغاني، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة 1983، ص 336

⁴³ المعجم الوسيط، ص 640

الحديث نهي وتحذير من نقض العهد وعده كثير من العلماء من كبائر الذنوب: وقد أمر الله المؤمنين بالوفاء بالعهد، وحرّم عليهم نقضها فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ سورة الإسراء 34، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ سورة المائدة: 1، وقال ابن عطية الأندلسي: ﴿وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه لا يحل﴾⁴⁴. وعاقبة نقض عهد الله وعهد رسوله، بينها الرسول وهي أن الله يسلط عليهم عدواً من غير المسلمين، فيأخذون بلاد المسلمين، أو يتحكمون في مقدرات بلاد المسلمين وثرواتهم. وهذا ما يقع بالضبط في زماننا فنرى الشرق والغرب يفرضون على حكام المسلمين (دول الخليج نموذجاً) إتاوات وجزية لا مبرر لها. ونرى الأبنك الغربية ملئ بأموال المسلمين في الوقت الذي يعيش المسلمون الفقر والهوان والتحكم والحصار. كما نرى مناجم الذهب والفضة ومدخرات الجواهر النفيسة تتحكم فيها فئة قليلة تابعة كلياً للمتنفذين في الاقتصاد العالمي من صهيانة وحلفائهم. هذا الواقع هو نفسه الذي تنبأ به الرسول في هذا الحديث.

*المخالفة الخامسة: ترك الحكم بكتاب الله تعالى.

-الأئمة جمع إمام. "والإمام المؤتم به إنساناً كأن يقتدي بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك، محققاً كان أو مبطلاً، وجمعه أئمة. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أي بالذي يقتدون به، وقيل بكتابهم"⁴⁵. أما الدامغاني فحصر معاني: إمام في القرآن الكريم على خمسة أوجه هي: "الحاكم أو القائد، الكتاب، اللوح المحفوظ، التوراة والطريق الواضح"⁴⁶. ولعل المقصود الظاهر من الأئمة في هذا الحديث والله أعلم هو: القادة والحكام وأولو الأمر وأصحاب المسؤوليات. وقد نبه الرسول لهذا الأمر عندما قال: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن راعيته)⁴⁷

أما الاحتكام إلى كتاب الله تعالى فهو شرط لحقيقة الإيمان ودليل عليه، مع كامل الاستسلام والخضوع التام له، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النساء. ولا يكتمل إيمان العبد إلا بالرضا والتسليم لحكم الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

⁴⁴ ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، منشورات الأوقاف، الجزء 4

⁴⁵ مفردات غريب القرآن، ص 24

⁴⁶ قاموس القرآن، ص 44

⁴⁷ أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي

ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ الأحزاب: 36. والحكم بما أنزل الله يعني أن يكون الكتاب والسنة المرجع الأسى للمسلم والمجتمع في جميع شؤون الحياة وإلهمما يرجع عند التنازع والاختلاف. ولكن في أغلب الدول المسلمة اليوم، القوانين والدساتير كلها من قوانين الشرق والغرب. ولا يرجع للشريعة إلا ما كان في الأحوال الشخصية من زواج وطلاق. أما الميراث فتعالت في بلاد المسلمين أصوات تطالب بالمساواة في الميراث بين الرجل والمرأة في شبه سبات أو غياب للهيئات والعلماء الرسميين والمجالس العلمية. أو ليس هذا تركا واضحا للحكم بكتاب الله تعالى؟؟ وصدق رسول الله فلقد تنبأ بهذا الأمر قائلا: "لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلمنا انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وإن أولهن نقضاً للحكم، وآخرهن الصلاة"⁴⁸.

أما عقوبة هذه المخالفة ففراها ونلاحظها أيضا بادية للعيان: بأسهم بينهم شديد. هذا ما يعيشه المسلمون من استبداد الحكام وتغول السلطة على المواطنين واختلاق الحروب في أغلب دول المسلمين. والحروب الدائرة في اليمن البؤس والفقر وبتمويل وإيعاز حكام السعودية والإمارات وحلفائهما. وفي ليبيا وفي العراق وسوريا والفتن المتوالية على لبنان وفي مصر حيث تواطأ الحكام مع أعداء الأمة وسفهاء دول الخليج على دعم الانقلاب وسجن عشرات الآلاف من الأبرياء وتقتيل الأبرياء ودفع الناس للهجرة والهروب بدينهم لتعيث الطغمة الحاكمة فسادا وموالة للصهاينة والحاquدين على الإسلام والمسلمين. ويصدق على الحكام المستبدين المسلمين المثل السائر: أسد علي وفي الحروب نعمة.

7-دروس وعبر من الحديث

نفهم من هذا الحديث صدق نبوة الرسول، وأن الابتلاء سنة باقية من سنن الله تعالى الكونية. وما البلاء إلا سوط من سياط القدرة والقدر يسلمه الله تعالى على العباد متى شاء سبحانه وكيف شاء. ومن الدروس التي ينبغي أن نقف عندها في زمن الابتلاءات:

1-الابتلاء رسالة من الله تعالى لحث العباد على التوبة والاستغفار والإقلاع عن الذنوب والمعاصي. الهدف منها رجوع العباد فرادى وجماعات إلى الله تعالى طاعة وامثالاً للأمر والنهي وتجديدا للتوبة من الذنب ومن الغفلة والبعد عن الله تعالى.

⁴⁸ أخرجه الإمام أحمد

2- اعتراف العباد بفقرهم وحاجتهم إلى الله تعالى، شرط أساسي لرفع البلاء عنهم، وإدراكهم أن الكون كله لا يحدث فيه إلا ما أراد الله وبإذن منه.

3- المخالفات التي جاءت في الحديث الشريف، خطورتها تكمن في كونها يتعدى أثرها وضررها فاعلمها، إلى المجتمع برمته. فتجد:

- الفاحشة ونقض العهد وهما مخالفتان أخلاقيتان تسببان الأمراض الخلقية والاجتماعية في المجتمع من اختلاط الأنساب والتفكك الأسري والأمراض المستعصية على العلاج وانعدام الثقة بين الناس وفشو آيات النفاق في المجتمع والاضطراب النفسي الذي يحدثه كل ذلك.

- تطفيف الكيل والغش في الموازين ومنع الزكاة مخالفتان ذات طبيعة تعاملية اقتصادية تسببان الحقد والبغضاء والكراهية والصراع الطبقي في المجتمع، إضافة إلى ضياع الثقة وعدم استثمار فائض الأموال والموارد فيما ينفع المجتمع ويحقق تبادل المنافع والمصالح.

- عدم الحكم بما أنزل الله مخالفة سياسية، ولكن يترتب عنها كل الفساد في باقي المجالات الأخرى. ففساد الحكم مقدمة أكيدة لكل أنواع الفساد الأخرى.

4- كل محاولة البناء والإصلاح في المجتمع، ينبغي أن تنطلق من معالجة الانحرافات السياسية والخلقية في المجتمع. وإلا بقينا ندور في حلقة مفرغة.

5- الحل الأول لهذه المخالفات هو الحل التربوي الذي يلامس فطرة الإنسان وقلبه وجوهره. ثم التعاون مع الصادقين وإشراك ذوي النيات الحسنة، والفضلاء من الناس في البناء والتغيير، كل ذلك لبث روح التهمم بالمجتمع وقضاياها الأساسية: العدل والحرية والكرامة.